

التنافس..

إعداد: فادي السلفيتي
معهد كنعان التربوي النمائي

عندما نسمع كلمة تنافس هناك الكثير من الهواجس تدور لكن دون ان تجد مرسى واضح ما هو التنافس وماذا يقصد به.. هل هو التنافر أو التزاحم أم القتال أم التناحر.. من هنا نبدأ بإيراد تعريفه في قواميس اللغة والتي وضعت له تعريف قد يكون مخالفاً لما في الواقع التطبيقي.

● تعريف قواميس اللغة:

- حسب المورد:

أنفس الشيء صار نفيساً.

نافس في الشيء؛ بالغ فيه ورغب ونافس فلانا في كذا سابقه وباراه من غير أن يلحق الضرر به، تنافس القوم في كذا؛ تسابقوا فيه وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض.

التنافس نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التشبه بالعظماء واللحوق بهم.

- وفي المنجد:

نفس نفساً بنفس (أي بعين) أصابه بها ونفاضة الشيء على فلان لم يره أهلاً له نافس نفاسا ومنافسة

فلان في الأمر: فآخره وباراه فيه.

وكما رأينا باستعراضنا لمعنى كلمة تنافس في اللغة نجد أن المفهوم المطبق في الواقع العملي لا يتطابق

مع المعنى النظري واجد وستجدون معي أن التنافس بمعناه المطبق والممارس في الحياة العملية يجب أن يأخذ معنى آخر في اللغة مثل التنافر مثلاً أو التزاحم.

فالتنافر في اللغة نجده: نفر نفوراً ونفيرا.ت الدابة من كذا: جزعت وتباعدت، فهي نافر ونفور!! ونفوراً

ونفاراً ونفيرا لقوم للقتال نفر فلان من كذا: أنف منه وكرهه، ونفر عن كذا: أعرض عنه وصد، ونفر فلانا، لقبه

لقبا مكروها، يقال "تآفره القاضي فنفر في عليه" أن حاكمته إلى القاضي ففضى لي عليه بالغبلة. وانفر القوم

فلانا: نصره وأمدوه، نافرة الرجل: أسرته وفصيلته ومن يتعصبون له.

- في المعجم الوسيط:

نفر الشيء نفورا، ونفارا: فزع وانقبض عليه غير راض به. ونفر الناس إلى العدو: أسرعوا في

الخروج لقتاله.

نافره: خاصمه وفاخره. تنافر القوم: تخاصموا وتفاخروا.

* وفي اللغة الإنجليزية:

تنافس - تزاحم: To compete, vie, rival, contend, jostle

تنافس: competition, rivalry تنافسي: competitive, emulative, emulous

● التنافس في التربية التقليدية:

يعتبر حسب منظري التقليدية من القوائم الهامة في تربية الطفل والمجتمع فمن وجهة نظرهم التنافس يؤدي بالضرورة إلى التحسن فمثلاً الطفل الذي ينافس آخر ويهزم فهزيمته تشكل حافزاً ودافعاً للطفل المهزوم للتحسن وتشكل تثبيت أو تحفيز للطفل الفائز بالتقدم، ببساطة فهم يحلون ويقررون من منطلق البقاء للأفضل وأنه يجب وبشكل ضروري أن يكون هناك غالب ومغلوب فهي سنة الحياة التي تعودنا عليها فالغالب هو الأفضل ويجب أن نكافئه والمغلوب هو السيئ ولا يجب أن نكافئه. بعض الألعاب الرياضية على سبيل المثال مبنية على التنافس، من الأفضل؟ من الأقوى؟ يجب أن يكون هناك قوي ويفوز دوماً.

بتقديري في التربية التقليدية لا يوجد بديل للتنافس فهو شيء طبيعي جداً ومطلوب لأن الأطفال يكونوا مسرورين جداً عندما يفوزوا وفرحة الانتصار تطغي على حزن الهزيمة للفريق الآخر عند التقليديين فيركز المبدأ لديهم على الشكل العام والجمال الخارجي في حين يغيب الجوهر والجمال والبناء الداخلي للفرد ومبررات التقليديين في ترسيخ التنافس هي بكلمات مزينة مثل التنافس الشريف والتنافس البناء، وإذا تعمقوا أكثر سيقولون - التنافس التعاوني!!

في حين يبرر التنافس ببعض الأمثلة الصغيرة التي تمثل في الغالب رأي فئة متمكنة قد تكون فائزة في أغلب الأحيان أو غير متضررة أو قوية، ويكون مبرر التقليديين "الروح الرياضية" التي يجب أن يتحلى بها الجميع مثلاً في الألعاب الرياضية، وهذه الألعاب لها قوانينها التي تحكمها مع العلم بأنه من الممكن ان تحول اهدافها من اهداف تنافسية الى اهداف للتكافل والتضامن ، لكن من وجهة نظري إن هذا التنافس في الألعاب الرياضية إذا اتفقنا أنه يجب أن يتحلى بالروح الرياضية والتنافس الشريف عليه أن يسبقه عملية تربوية هادفة ممنهجة مبنية على احترام الرأي والرأي الآخر وحرية التعبير والعمل الجماعي... الخ ، حتى يتفهم ويبني عقل الشخص الهزيمة ويتقبلها بموضوعية ويفكر في أسباب الهزيمة والمستقبل لا أن يتراجع ويحبط. (وهذا بالتالي يتنافى مع الأسلوب التربوي التقليدي، فهو يحتاج لمخطط تربوي علمي يطبق بشكل جاد).

يرى بعض المربين:

"لابد أن نجنب الأطفال التنافس البغيض والمعايرة الكاذبة والصلف المزيف، فإذا كان التنافس شريفاً وموضوعياً فإنه يبني جواً من الألفة وتبادل الخبرة، وإذا كان التنافس يعتمد على وأد قدرات الآخرين وتحقيق المكاسب الفردية دون النظر إلى الزملاء، فإن الطفل يحتاج إلى أن يتعلم فن التسامح من خلال التنافس الموضوعي، ذلك الذي يدفعه إلى الاعتراف بقدرات الآخرين وتهنئة المتميزين وإعطاء كل ذي حق حقه، ذلك هو التسامح المطلوب الذي يجعل صاحبه يرتقي دائماً من الأنانية البغيضة إلى العطاء السامي الذي يجعله ينظر إلى الآخر بمودة وألفة واحترام، فيؤكد على الفكرة الأساسية السابقة بضرورة العملية التربوية الهادفة وإن ركز هنا على مبدأ واحد فقط وهو النتائج".

"فالتسامح ليس مجرد عاطفة لدفع أصحابها إلى الانسحاب كما يظن البعض، ولكن التسامح يمثل طاقة منتجة تدفع صاحبها إلى العمل والإنتاج."

فالتسامح يدعم التعاون ويغرس الفضيلة الودودة، ومن هنا يكون دافعاً للعمل والإنجاز ومشجعاً للإرادة ومعترفاً بقدرات الآخرين."

وقد لفت انتباهي أثناء البحث، الحديث عن التسامح حيث يقول أحد التربويين: أن تجربة التسامح السامية لا تعرف الأنانية أو إضاعة الوقت أو إخضاع الغير، أو الرغبة في الامتلاك، فكل هذه المظاهر لابد أن يتجنبها الطفل في تنشئته، لأنها تعبر عن المرض النفسي الذي لا يرمز إلى المودة أو يؤدي إلى إيجابية العلاقات الإنسانية.

وإذا كنا نسعى نحو تدعيم فن التسامح في معاملات الطفل للآخرين فإن هذا السعي المستمر يهدف إلى تدعيم السلوك الطيب المشبع بالقيم، وهذا السعي يعتمد على مجموعة من المحاور ينبغي على كل أب وكل أم الاهتمام بتغذيتها لدى أطفالهم.

فالمجتمع الذي نريد لا يمكن أن تسوده هذه القيم مع وجود التنافس بأشكاله المختلفة والمعارف عليها. إذا أمعنا النظر نجد أن مفهوم التنافس مشوه قليلاً لأنه بكل أشكاله بغيضاً أو شريفاً فهو يشكل استمرارية للأنانية والبغيضة والتمييز وإن كانت بشكل غير مرئي أو أقل إذا أقرينا التنافس الشريف.

● التنافس في التربية النمائية:

قبل الخوض في التنافس هنا نود إيضاح ماهية التربية النمائية (الجديدة) فهي باختصار التربية الجديدة التي تعتمد على أسس تربوية علمية قائمة على احترام الفرد وإن الطفل إنسان كامل الاعتبار وهو مركز العملية التربوية له احتياجات وحقوق علينا تلبيتها واحترامها وتعتمد بالأساس على المبادئ التربوية التالية:-

اللاعنف:- بكل ما يشمله من عنف معنوي وجسدي.

الحرية المسئولة: كل إنسان حر لكن مسئول عن تصرفاته.

حرية الاختيار: إذا اخترت وأنت صغير يمكنك ان تقرر وتختار وأنت بالغ دون صعوبات.

التعلم النشط و المشاركة: استخدام الحواس الخمس هي أفضل الطرق للتعلم (أسمع فأنتسى، أرى

فأتذكر، أشارك فأفهم) إذا شاركت تطورت.

لا تطعمني سمكا بل علمني كيف اصطاد.

إضافة إلى قيم التعاون والاحترام والحوار على قاعدة التفاهم البناء... الخ

نعود الان لننظر التربية النمائية في التنافس فهي تنظر اليه على انه معول هدم في المجتمع حيث ان تأثيراته سلبية على المدى القصير والطويل من الناحية النفسية والقيمية حيث انه من الجانب النفسي فهو يولد الانكسار وزعزعة الثقة بالنفس، والتراجع والانطواء، والأنانية.. الخ.

ومن الناحية القيمة يولد الكره، والحقد، والبغض ويعزز التمييز والعنف، والاستهزاء من الآخرين.

* وتحضرنى الآن قصة مأخوذة من الواقع الاجتماعي:

حيث كان هناك طفل صغير يبلغ من العمر 10 سنوات يحب كرة القدم كثيراً على عكس والده رغم ذلك فقد كان الوالد يصحب ولده إلى النادي، ويشاهد الاب بحزن ولده من بعيد وهو يركض ويلعب الكرة مع أقرانه.. وفي يوم من الأيام اكتشف الطفل كرة صغيرة في أغراض أبيه ووجد بعض الميداليات التي كان أبيه قد فاز بها وهو صغير، فتفاجأ الابن من الموقف المتناقض الذي يجمع الحاضر بالماضي فسأل أبيه مستغرباً كيف لا تحب كرة القدم وفي نفس الوقت لديك كل هذه الجوائز..!!؟!! طأطأ الأب رأسه وعلى ملامحه يبدو الحزن والحسرة وقال لطفله بنبرة حزينة: لقد كنت ألعب في فريق المدرسة وكنت لاعباً مميزاً وفي إحدى المباريات أحرز الفريق الخصم هدفاً، ففرح أعضاء الفريق الفائز وجمهوره و نسي الجميع ذاك الإنسان الواقف بجانب المرمى الذي تمنى بشدة لو أن الأرض قد انشقت وابتلعتة.. ذلك الإنسان كان مُدمراً ومحطماً ، ذلك الإنسان كان أنا.. ومنذ ذلك الوقت توقفت عن اللعب وكرهت ألعاب التنافس.

من الممكن أن تكون هذه الحالة فردية لشخص عندما هزم تأثر كثيراً وأصبح منعزلاً وبالتالي انعكس ذلك على حياته ومفاهيمه بشكل عام، لكن إذا نظرنا بشكل شمولي سنجد أن هناك أفراداً بالفعل قد يتأثرون لكننا لا نلاحظ ذلك لكن بالواقع إذا أمعنا النظر سنلاحظ.

الفرد ليس له أهمية في الفكر التقليدي وفي المقابل النمائية تعتبر الفرد حجر أساسي وهام للبناء. فإذا كان نصرحك فوزاً لك فلا تنسى أنه هزيمة وانكسار لأفراد آخرين...، وإذا كان الفرد هو أساس المجتمع ولبنته الأولى مهزوماً في بعض الأحيان فقد يبقى مهزوماً كل الأحيان وإذا لم تكن هذه السمة سائدة فلا شك أنها قد تؤثر نوعاً ما وبشكل من الأشكال في بعض الأفراد وبالتالي في المجتمع بشكل عام.

أما من وجه نظر أخرى مسيطرة على الاستراتيجية في التعليم الرسمي يقول أحد التربويين: "أن الغالبية العظمى من الامتحانات تقيس المستويات المعرفية البسيطة مثل التذكر والفهم، وتتجاهل المستويات العليا للتفكير كالتحليل و التركيب والتمييز والتقويم، والامتحانات التي تقيس نتائج التعلم بالكم وليس الكيف بوصفها الحالي لها انعكاسات سلبية على العملية التعليمية بأكملها، لأنها ترفع روح التنافس وتشجع الطلاب على الغش بدلاً من روح التعاون والبحث، نظراً لاعتمادها على الكتاب المقرر فقط، وتؤثر سلباً على المعلم أيضاً لأنه يهمل قياس المهارات الأخرى للطالب وتنميتها.. مثل: الملاحظة وسرعة البديهة".

فقد ربط هنا بين التنافس و الاستراتيجية العامة للتعليم التقليدي و التي تعزز التنافس الذي يضر بالأطفال حسب قوله ونستنتج من هذا أيضاً عدم الاهتمام (من المتنفذين) بالأهداف التربوية المتعلقة بخفايا الأساليب المرتبطة بقيم واتجاهات الأطفال - الغش والعنف والتنافس - بل بظواهرها فقط.

وإذا قال البعض أن التنافس قد يؤدي إلى ضبط المشاركين، وبتعزيز التنافس نستطيع ضبطهم، فنورد هنا تعريف الباحثان سميث وريفيرا (Smith & Rivera, 1995) عملية الضبط بأنها "عملية نظام ما بين

الطلاب، بحيث تؤدي إلى حدوث التعلم دون الحاجة إلى التنافس مع عوامل معيقة أو غير منتجة تلك العملية عبارة عن نظام مكون من مجموعة قوانين بهدف التحكم والسيطرة على السلوك، واستراتيجيات لضمان استمرارية تلك القوانين".

لذا فهنا نجد عدم ارتباط الادعاء بالواقع المهني بشكل كبير، حيث أن من المبررات لعمل المسابقات التنافسية حسب المدرسة التقليدية للاستفادة من المعلومات والثقافة وإبراز المهارات.

ومن المدارس التربوية نجد تعدد المفاهيم حسب المدرسة نتناول هنا مدرستان: مدرسة السلطة، التي تستلزم عاطفة الخوف، ومدرسة التنافس التي تلجأ إلى غريزة المقاتلة.

و في ذلك فائدة مزدوجة، إذ أن كلتا العاطفة والغريزة تلعبان دوراً كبيراً في حياة الراشدين، و لأنهما إذا وجهتا منذ طور مبكر نحو أهداف اجتماعية، غدا تعلمهما في حد ذاته كسباً ثميناً، والطفل يكتسب على هذه الشاكلة معارف مفيدة والعادة على الطاعة، كما يكتسب في الوقت نفسه روح التنافس التي تسمح له أن يفيد من هذه المعارف وتلك العادة على الطاعة أكبر فائدة ممكنة، ومما يجدر بالملاحظة أن نظام التربية هذا، القائم على أساس العقاب والثواب والمنافسة، لم يقدر له النمو الكامل إلا منذ أمد قريب نسبياً، فالمجتمعات البدائية التي تكمل فيها الفعاليات الاجتماعية والفعاليات الطبيعية على نحو مباشر أكثر، ليست في حاجة قط إلى القسر من أجل إشراك الطفل في حركات الراشدين، ويشد طابع السلطة والتسلط، عندما تغدو التربية تابعة لمؤسسات اجتماعية متميزة وعندما تثير الانطلاقة الأولى للمنازع الفردية كرد فعل على ذلك، الحاجة إلى طرائق قسرية تسير جنباً إلى جنب مع الاهتمامات التي يثيرها التنافس، والمجتمع يعمل في وقت واحد على كبح المنازع الجديدة وعلى إروائها عن طريق استخدامها من أجل تقدمه الخالص، ولكن هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الخوف والتنافس ليسا المحركان الوحيدين الذين تستطيع التربية أن تفيد منهما.

● مواقف وردود:

من أكثر الجمل التي تتردد في ورش العمل الخاصة بالأنشطة عند طرح سؤال ما هي الأنشطة التي تودون تنفيذها..؟ .. يجيب المتدربون: مسابقات بين الأطفال وعند نقاشهم لماذا المسابقات وما فائدتها..؟ يجيبون بنوع من الفخر أن الأطفال يحبون ويستمتعون بالمسابقات والجوائز.. حسناً إنهم يحبون الجوائز ويحبون المسابقات لكن هل هم يطلبونها بأنفسهم..؟ وهل يخرج كل الأطفال ونؤكد كل الأطفال راضين أو مسرورين..؟ هل الأطفال بعد انتهاء المسابقة كل منهم يكن الاحترام الكامل والمودة للآخر..؟ ما مدى الاستفادة وما هي الأهداف التربوية من هذه المسابقات ولنحاول أن نجيب على هذه التساؤلات معاً..

إذا قلنا يطلبونها بأنفسهم قد تكون في بعض الأحيان إذا مورست معهم وفاز بها بعضهم، هل يخرج كل الأطفال راضين..؟! من المستحيل أن يخرج جميع الأطفال راضين بنفس المستوى في الأنشطة التعاونية فما بالك في مسابقات تنافسية بها فرد أو فريق مهزوم.

وأما عن الشعور بالاحترام فمن الصعب أن يكن أحد الأطفال الاحترام لطفل آخر أشعره بأنه فاشل أو أنه أحسن منه، أما الاستفادة للأطفال فتتوقف على الأفراد المميزين والموهوبين والتمكنين في حين أن باقي

الأطفال لن يكون لهم دور سوى تأكيد أنهم ضعفاء وأنهم ليسوا جديرين بالفوز على أطفال أفضل منهم وبالتالي فائدتهم تتقيد فقط في أشياء محدودة.. ولكن!! إن الأطفال جميعاً يستفيدون.. نعم فالطفل المهزوم يستفيد بأن عليه الاجتهاد أكثر لكي يفوز بالمرّة القادمة والفائز تتعزز لديه المهارة..

حسناً إذا أردنا القول أن الأطفال المهزومين يستفيدوا فذلك في حالات فردية وشاذة ومن خلال التجربة والخبرة العملية: إذا كان هناك مثلاً فريق من 5 أطفال هزم قد نجد حالة أو اثنتين يفهمون ذلك وقد لا نجد، أما الباقي فذهبت إن جاز التعبير نفسيتهم أدرج الرياح، ولكن.. من الممكن أن يجتهد جميعهم!! نعم جميعهم سيجتهدوا.. كيف؟؟

هناك رأيان: الأول: ان يتم تدريب المنشطين المرافقين للأطفال على تنظيم ورش مساندة نفسية للأطفال المهزومين ليطلبوا جراح ما حدثه التنافس على الصعيد النفسي.

وهذا مكلف من ناحية الجهد والوقت والمادة ويساهم في هدم مجموعة الاطفال وتفرقتها في حين نحن في اشد الحاجة الى مجموعات متضامنة متعاونة تشكل لبنات بناء مجتمع فاعل.

الرأي الثاني: هو اعداد منشطين يعملون على تنظيم انشطة تعاونية تنمي الثقة بالنفس وحب الاخرين واحترامهم والتعاون والتضامن والتكافل وبالتالي اثرها النفسي ايجابي يساهم في بناء مجموعات متكاملة متضامنة متعاونة في اقل وقت وجهد ومال نبني مجتمع فاعل قادر على الصمود في وقت نحن بأشد الحاجة لهذه القيم .

إذا.. أعتقد أنه يجب علينا ان نقرر إما أن ندرّب منشطين لكي يساندوا الأطفال المهزومين بالتالي فرز لكل طفل منشط مرافق يرفع من معنوياته او تدريب منشطين ينظموا أنشطة تعاونية يبنون من خلالها طفل مبدع واثق من نفسه ذو معنويات عالية فاعل في مجتمعه.

أما الأهداف التربوية فما هي.. هل هي فرز المميزين فقط.. تعزيز ثقة المميزون بأنفسهم.. إكساب الأطفال التمييز وعدم الاحترام المتبادل.. تعزيز نزعات العدوانية والعنف والكبت، ما هي الأهداف التربوية التنافسية..؟ أعتقد أن كل هذه التساؤلات والإشكاليات تتمثل الإجابة الشافية لها في التربية الجديدة والتي ترى أن البديل للتنافس بكل أشكاله هو التعاون والعمل الجماعي والألعاب الجماعية فالألعاب الجماعية إذا أردنا أن نأخذ فقط الأسئلة المطروحة سابقاً فنسجد التالي:

◆ بعد الألعاب التعاونية يخرج جميع الأطفال مستمتعين راضين عن انفسهم يكون الاحترام لبعضهم البعض، لا الأحقاد والتمييز أما الاستفادة فتتنوع من اكتساب خبرات مختلفة ومهارات مختلفة وتعزيز روح التعاون وتعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم ورفع روحهم المعنوية وترسيخ مبادئ الديمقراطية والعمل الجماعي إضافة إلى مبادئ تربوية أخرى كثيرة..

◆ فالعمل الجماعي المبني على التفاهم والتعاون يشكل رداً وبديلاً للتنافس الذي وبكلمات أخيرة يشكل معول هدم لمبني يمكن أن يبني بالتعاون دون أضرار..

من هنا ومن الإيمان القاطع المبني على أسس علمية وتجارب عملية وكما قال أحد الحكماء: إذا أردت أن تستثمر لثلاث سنوات استثمر في التجارة وإذا أردت أن تستثمر لعشر سنوات استثمر في الأرز وإذا أردت أن تستثمر الدهر فاستثمر في البشر..

ونحن لنستثمر في البشر الذين سيشكلون بلا شك المجتمعات كافة يجب أن تكون السياسة التربوية التي هي الاستثمار، واضحة وإذا كانت السياسة التربوية مبنية على مبدأ التنافس فسيكون مدى انعكاس تأثيرها مادي، كل فرد ينافس الآخر وكل فرد يريد أن يبقى الأفضل ويصبح الأقوى وبالتالي جر نعرات الكره والتمييز والعنف.. الخ، التي ستولد نتيجة للتنافس.

وهذا المجتمع إن عاش فسيعيش ليحفر قبره بيده.. أو بمعنى آخر يحيا ليموت.

أما السياسة التربوية المبنية على العمل الجماعي والتعاون، فانعكاسها بالتأكيد سيكون مجتمع متعاون كل فرد فيه يعمل مع الآخر ويتعاون معه ويبني معه لخدمة الآخرين وبالتالي يبني للمستقبل فهو مجتمع يحيا ليستمر، يحضرنى هنا جملة لأحد الفلاسفة مضمونها: لو أن كل فرد لم ينظر للآخرين بأنهم أفضل منه أو أسعد منه لعاش العالم بسلام (أي أن الشعور دوماً بالنقص والشعور بأن الآخر أفضل منه يشكل ثغرة في العلاقات بين الأفراد وبالتالي ستنشأ الأحقاد والنعرات وبالتالي العنف والحروب..). وهذا بالطبع تعززه التربية التقليدية وبشكل خاص التنافس.

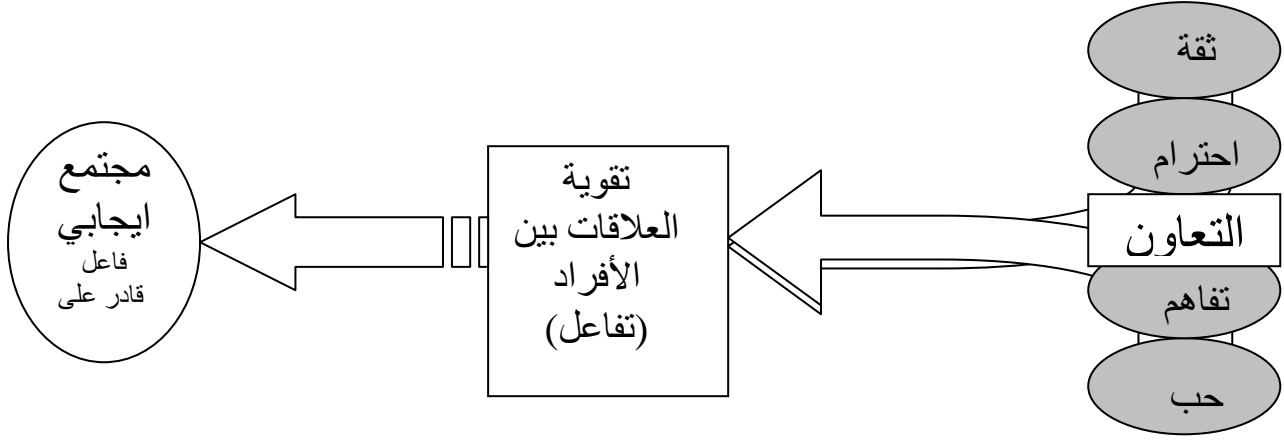
وإذا أردنا أن يصبح مجتمع ما مجتمع دمار على المدى البعيد فنعم للتنافس.. وإذا أردنا مجتمع سعيد ومتعاون على المدى البعيد فلا للتنافس ونعم للعمل الجماعي.

عليك ان تختار مجتمعك ..

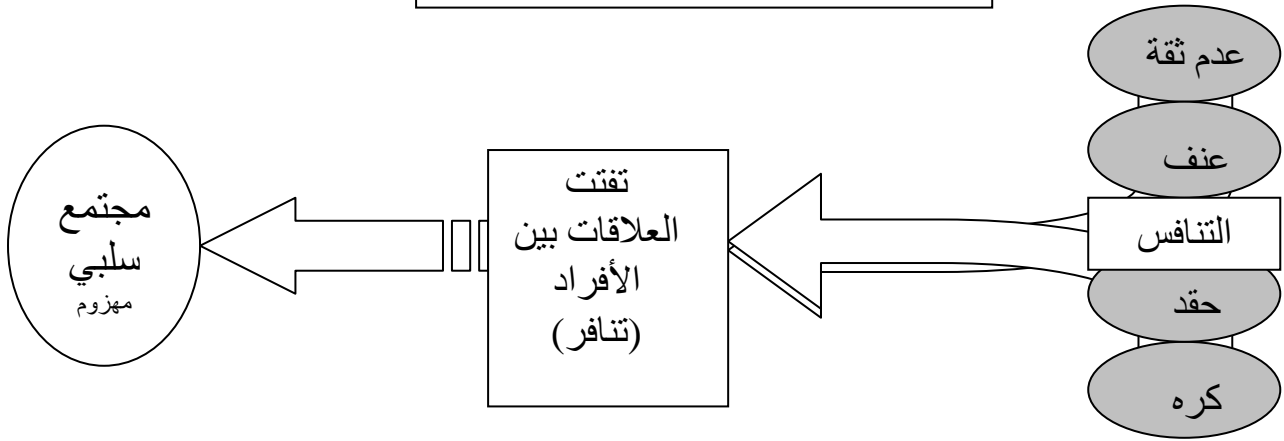
أي مجتمع تختار للتعاون في المستقبل؟؟؟



نحو مجتمع ايجابي



نحو مجتمع سلبي



❖ المراجع:

- ◆ التربية العامة، تأليف رونه اوبر، ترجمة الدكتور عبد الله عبد الدايم _ دار العلم للملايين ص 348.
- ◆ موسوعة سفير لتربية الأبناء "المجلد الثاني" _ تعليم الطفل التسامح، ص 381-382.
- ◆ استراتيجيات في إدارة وضبط الصف. موقع المعلم على شبكة الانترنت.
- ◆ لمعلمي التربية الخاصة والمرحلة الابتدائية: "تركيز على طرق الوقاية". موقع المعلم على شبكة الانترنت .
- ◆ مقالة لمحمد زياد _ كلية دافيد يلين للتربية.